

التحذير من الإقامة بأرض العدو¹ لأبي عبد الله محمد بن المدني بن علي كنون

دراسة وتحقيق

**Warning against staying on enemy territory
For Abu Abdullah Muhammad bin al-Madani bin Ali Kanon
Study and investigation**

هشام البقالي*

وزارة التربية الوطنية- المملكة المغربية، Hicham_albakali@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2020/04/28 تاريخ القبول: 2020/05/13 تاريخ النشر: 2020/06/30

ملخص:

تحاول الورقة تحقيق ودراسة رسالة فقيه من فقهاء المالكية المغاربة في القرن التاسع عشر، ذلكم هو الفقيه أبي عبد الله محمد بن المدني بن علي كنون، وهي رسالة: التحذير من الإقامة بأرض العدو، وهي رسالة فقهية تحذر وتحرم إقامة المسلم في أرض العدو، وتنهي عن التعامل معه بأي شكل من الأشكال.

وقد قسمت الورقة إلى قسمين، الأول منهما خصصته لدراسة الرسالة والتعريف بها وبصاحبها، في حين قمت في الثاني بتخريجها وتحقيقها متبعا في ذلك ضوابط التحقيق العلمي المتعارف عليه بين المختصين

الكلمات المفتاحية: تحقيق، أدب النوازل، المخطوطات، الإقامة بأرض العدو، الفقه.

¹ أبو عبد الله محمد بن المدني بن علي كنون: التحذير من الإقامة بأرض العدو، مخطوط مكتبة الملك عبد العزيز آل سعود- الدار البيضاء، رقم 249.

* المؤلف المرسل

Abstract:

The paper attempts to investigate and study the message of a jurist from the Moroccan Maliki jurists in the nineteenth century, that is the jurist Abu Abdullah Muhammad Ibn Al Madani Ibn Ali Ganon, which is a message: Warning against residency in the enemy's land, which is a juristic message that warns and prohibits the residence of a Muslim in the enemy's land, and forbids Treat it in any way.

The paper was divided into two parts, the first of which was devoted to the study of the thesis and the identification of it and its owner, while in the second I graduated and investigated it following the rules of scientific investigation recognized among the specialists

Keywords: Achievement; manners of manuscripts; manuscripts; residence on enemy land; jurisprudence

1. مقدمة:

مما لا مرأى فيه أن عملية تحقيق النصوص التراثية عملية مشروعة، لأن تراثنا ما يزال مخطوطا في قسم كبير منه، ولأن التحقيق يمثل إحدى المحطات الأساس في البحث العلمي؛ فقد أصبح من المسلم به أن تقدم البحث التاريخي مرتبط بمدى تقدم الباحثين في الحفر داخل التراث المخطوط وتحقيقه تحقيقا علميا، حتى تتسنى الاستفادة منه وتقويمه بشكل صحيح.²

نعتقد جازمين أن الاهتمام بالتراث يمثل جزءا لا يتجزأ من كينونتنا وهويتنا. ذلك أن الاهتمام به "ليس تاريخا ماضويا بقدر ما هز عمل حياتي مستقبلي... والأمر لا يمكن أن يبقى في حدود الوفاء النظري له والاشادة العاطفية به... وإنما هو كذلك، أو قبل ذلك في الانتفاع به والوفاء لأنفسنا من خلاله... إنه ليس زينة، ولكنه سلاح... ليس تباها وإدلالا، ولكنه قبل ذلك نوع من الإعداد، ولون من كسب الثقة بالنفس"³.

² محمد بن عبد الكريم التميمي: الاستفادة في مناقب العباد بمدينة فاس زما يليها من البلاد، دراسة وتحقيق الدكتور محمد الشريف، (تطوان: كلية الآداب والعلوم الانسانية، 2002)، 6/1 من مقدمة التحقيق.

³ شكري فيصل: التراث العربي؛ خطة ومنهج، مجلة التراث العربي، دمشق، ع.3، أكتوبر 1980، ص 212.

———— التحذير من الإقامة بأرض العدو لأبي عبد الله محمد بن المدني بن علي كنون: دراسة وتحقيق من هذا المنطلق جاء اختيارنا لدراسة وتحقيق مخطوط التحذير من الإقامة بأرض العدو لأبي عبد الله محمد بن المدني بن علي كنون. وهو عبارة عن رسالة فقهية، بين فيها محمد المدني خطورة إقامة المسلم في أرض العدو، وآثرها الدينية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية على الشخص والدولة.

2. التعريف بالمؤلف:

هو محمد بن المدني بن علي جنون⁴، أبو عبد الله المستاري أصلاً، الفاسي مولداً وقرارا ووفاة: فقيه مالكي، من رجال الإصلاح الديني. أصله من بني (مستارة) يتصل نسبه بالأدراسة.

ولد في حدود 1240هـ/1825م، بمدينة فاس، وبها نشأ وتعلم. ينحدر نسبه من أسرة أولاد جنون، إحدى أبرز البيوتات العلمية العريقة بمدينة فاس.

حجّ مع والده وهو ابن ثلاث سنين، وحجّ مرة ثانية وهو ابن عشر سنين أو ما قاربها. تزود بثقافة عربية ودينية أصيلة، إلى أن غدا فقيها متمكنا، له مستوى عال من الكفاءة والافتداز، فكان من أشهر علماء المغرب في عصره.

أخذ عن عدة شيوخ، منهم: بدر الدين الحمومي، والوليد العراقي، وعبد السلام بوغالب، وأبو بكر بن كيران، ومحمد صالح الرضوي، ومحمد بن عبد الرحمان الحجرتي، وأحمد المرينسي، وأحمد بناني كلا، والقاضي المهدي بن الطالب بن سودة، وغيرهم.

قُلب الشيخ خطة القضاء بمراكش سنة 1274هـ، ولم يقبل بها إلا بعد استشارة شيخه محمد بن عبد الرحمن الحجرتي فأشار عليه بالقبول، وأوصاه بالعدل واتباع الشريعة، وكانت مدة توليته ثمانية أشهر ثم طلب الإعفاء، فرجع إلى بلده مشغلا بالدرس الفقهي، فكانت له مجالس بالقرويين وغيرها، كما كان يخطب بجامع أبي الجنود بين فاس البالي وفاس الجديد.

⁴ انظر ترجمته في: شجرة النور الزكية، 1/610، الفكر السامي، ص. 633-634. إتحاف المطالع، 1/288، سلوة الأنفاس، 212-214، الأعلام، 7/94، موسوعة أعلام المغرب، 8/2763، فهرس الفهارس، 1/498، الاستقصا، 8/195، معلمة المغرب، 20/6833.

أخذ عنه الناس طبقة بعد طبقة، كالشيخ محمد بن إبراهيم السباعي، والفقهاء أحمد جَسُوس الرِّبَاطي، ومحمد بن قاسم القادري، والمهدي الوزاني، والعالم اللُّغوي محمد محمود التركي الشنقيطي نزيل مصر، وغيرهم.

له تأليف⁵ كثيرة منها:

اختصار حاشية الرهوني على شرح الزرقاني لمختصر الشيخ خليل، إيقاظ المفتون المغرور مما تدم عواقبه يوم النشور، التسلية والسلوان لمن ابتلي بالإذابة والمهتان، الدرر المكنونة في السنة الشريفة المصونة، الدرر الدرية المستنيرة بحديث لأعدوى ولا طيرة، نصيحة ذوي الأكياس في بعض ما يتعلق بخطة الناس، شرح سيرة ابن فارس اللغوي، نصيحة أهل العلم فيما يتعلق بالفتوى والشهادة، كفاية المحتاج في حكم استعمال المحلى والديباج، الزجر والإقمام بزواج الشرع المطاع لمن كان يؤمن بالله ورسوله وبيوم الاجتماع، عن آلات اللهو والسماع، اختصار رسالة أبي علي الفجيجي في طرق الأئمة الصوفية، تعليق على مختصر الرازي اللغوي في السيرة النبوية، نزهة الألباب في ذكر النافع بالإجماع، رسالة في التحذير من الإقامة بأرض العدو، رسالة في التحذير من إهانة العلماء.

توفي ليلة الجمعة أول يوم ذي الحجة على رأس المائة الثالثة عشرة، سنة 1302هـ/ 1885م، وهو ابن ثلاث وستين سنة، ودُفن بالقباب خارج باب الفتوح، أسفل ضريح أبي المحاسن. وقد أُلّف في ترجمته تلميذه الشيخ محمد بن الحاج مصطفى المشرفي كتاباً سمّاه: "الدرّ المكنون في التعريف بالشيخ كنون" وذكر فيه شرفه.

⁵ "منها ما يخدم الفقه المالكي بصورة مباشرة كاختصاره لحاشية الرهوني الكبرى الموضوعة على حاشية بناني على الزرقاني لمختصر خليل، حيث حاول الفقيه تصحيح الأخطاء الواقعة في شرح فقهاء سابقين في نفس المذهب لمختصر خليل، إذ قام هؤلاء بحذف النصوص والاستشهادات فنتج عن ذلك الحذف أن يفهم القارئ من هذا الشرح أحكاماً غير صحيحة ليست هي المقصودة في الكتاب المشروح، فجاء عمله هذا لتصحيح تلك الأخطاء، والتحذير مما يقع في مثل هذه الكتب من المخالفات الشرعية، وبذلك خدم المذهب الذي ينتهي إليه خدمة جليلة" محمد الفلاح العلوي: جامع القرويين والفكر السلفي، منشورات مجلة أمل، 2004، ص. 83.

———— التحذير من الإقامة بأرض العدو لأبي عبد الله محمد بن المدني بن علي كنون: دراسة وتحقيق

3- دراسة المخطوط:

يتألف المخطوط من ورقات ستة (06) ذات وجهين، أي 12 صفحة، كُتبت بخط مغربي جميل، به عدة كلمات مشكولة، وأخرى ملونة بلونين أحمر و أزرق.

تضم كل صفحة 23 سطرا، بمعدل 14 كلمة في السطر.

[الإطار العام للفتوى]

تعد قضية جواز إقامة المسلم في الأراضي التي استولى عليها النصارى من بين أهم القضايا الحرجة التي طرحت على الفقهاء بالغرب الإسلامي منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وذلك حسب فتوى ابن الربيع⁶. ومن المعلوم أن الرأي السائد في هذه المسألة هو تحريم هذه الإقامة، واعتبار الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام واجب ديني وشرعي⁷؛ لكن مع ذلك، فإننا نجد من الفقهاء الذين خالفوا هذا الرأي، بحيث أباحوا للأندلسيين العاجزين عن الهجرة البقاء بالأندلس تحت حكم النصارى⁸.

هذا، وتعتبر فتوى أبي العباس أحمد بن يحيى الوئشريسي (ت. 914هـ/1508م):

أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر، أشهر فتوى بخصوص هذا الموضوع⁹.

⁶ أبو الحسن محمد بن يحيى ابن ربيع (ت. 719هـ/1320م)، أنظر:

Jean-Pierre Molénat, Le problème de la permanence des musulmans dans les territoires conquis par les chrétiens, du point de vue de la loi islamique», Arabica, T. 48, Fasc. 3 (2001), pp. 397.

⁷ أبو العباس أحمد بن يحيى الوئشريسي: أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر، تج. د. حسين مؤنس، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1996)

هذا، وقد أنجزت الباحثة Hendrickson, Jocelyn أطروحة حولها بعنوان:

The Islamic obligation to emigrate: al-Wansharisi's Asna al-matajir reconsidered, Emory University, 1999.

⁸ المازري: فتاوى المازري، تحقيق طاهر المعموري، (تونس: الدار التونسية، 1994)، فتوى المغراوي، أنظر محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط. 3، (القاهرة، 1966)، ص. 342-344.

⁹ لأخذ فكرة عن النقاش بين المتخصصين حول وضعية المسلمين تحت حكم النصارى أنظر كتاب:

Alan Verskin, Islamic Law and the Crisis of the Reconquista. The Debate on the Status of Muslim Communities in Christendom, Studies in Islamic Law and Society, Volume: 39, 2015.

إن مجمل الفتاوى التي صدرت منذ القرن الخامس الهجري¹⁰ وما تلاها من الفتاوى في القرون اللاحقة¹¹ تتناول قضية مسلمي الأندلس، لكن مع مطلع القرن الخامس عشر الميلادي، تغير الأمر، وذلك بعدما أصبحت السواحل المغربية هدفا للغزوات الإيبيرية، مما جعل قضية التعامل مع المحتلين أو مقاطعتهم والجهاد ضدهم من بين القضايا التي استأثرت بها أجوبة الفقهاء¹².

هذه الوضعية التي عرفها مغرب أواخر المرينيين وطيلة عصر الدولة الوطاسية، ستتكرر بعد حوالي أربعة قرون في عصر الدولة العلوية خلال القرن التاسع عشر للميلاد، حيث مثل التغلغل الأجنبي الإنجليزي¹³ - الفرنسي - الإسباني للمغرب منعطفا خطيرا في الدولة المغربية، وأثر بشكل مباشر على البنى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ناهيك عما أحدثته من رجات في المجتمع المغربي، مما أدى إلى بلبله في الأفكار والمعتقدات.

في هذا الإطار وردت رسالة التحذير من الإقامة بأرض العدو، لأبي عبد الله محمد بن المدني بن علي كنون، حيث شهد المغرب ضغوطا استعمارية قوية، من طرف القوى الاستعمارية الأوروبية، مما أدى به إلى توقيع المعاهدة التجارية مع بريطانيا سنة 1856م، وخسر أمام فرنسا في إيسلي سنة 1844، وما تبعها من معاهدة لالة مغنية، كما انهزم في حرب تطوان أمام إسبانيا في حرب تطوان 1859-1860م، الامر الذي جعل المغرب تحت الحكم الأجنبي نظريا، قبل توقيع معاهدة الحماية يوم 30 مارس 1912م.

¹⁰ فتاوى ابن عبد البر القرطبي وابن رشد الجد وابن الحاج التجيبي وابن العربي المعافري.

¹¹ نذكر منها فتاوى ابن الفخار (ت. 723هـ)، والعبدوسي (ت. 849هـ) والمواق (ت. 897هـ) وابن المقلش الوهراني (ت. 799هـ)، وفتوى ابن برطال، أنظر محمد الشريف وسلوى الزاهري: "فتاوى ابن برطال"، ضمن كتاب: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ومباحث في التراث الإسلامي، أعمال مهداة إلى الأستاذ الدكتور أحمد شعيب اليوسفي، منشورات كلية الآداب تطوان، 2018، 67/1 وما بعدها.

¹² أبي فارس عبد العزيز بن الحسن الزياتي (ت. 1645م): الجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة، مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط، رقم 5862، والكتاب حققه الدكتور محمد الشريف أستاذ التاريخ الوسيط بكلية الآداب بتطوان، وهو قيد الطبع.

¹³ أنظر خالد بن الصغير: المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر - 1856 - 1886، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، ط. 2، 1997.

التحذير من الإقامة بأرض العدو لأبي عبد الله محمد بن المدني بن علي كنون: دراسة وتحقيق
اعتمد أبو عبد الله محمد بن المدني بن علي كنون، في رسالة التحذير من الإقامة بأرض
العدو، على أمهات كتب النوازل التي قاربت موضوع الإقامة بأرض النصارى¹⁴، وعزز جوابه
بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، وذلك قصد التحذير من الإقامة بأرض
العدو، وذلك لأن "من المقرر المعلوم أنه لا ظلم ولا بدعة أعظم من الكفر، ومن رضي بفعل
قوم فهو منهم. فكيف بمن يساكنهم ويأوي إليهم ويطعمهم ويحسن إليهم ويتودد إليهم
ويواسيهم"¹⁵.

4- نص الرسالة:

1/ و/بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وصلى الله على سيدنا ومولانا، وآله وصحبه وسلم.
من عُيِّدَ اللهُ محمدَ المدني كنون¹⁶، إلى فلان¹⁷: السلام عليكم، وعلى من اتبع الهدى
ورحمة الله وبركاته.
وبعد:

فإن "الدين النصيحة"¹⁸، كما في الصحيح¹⁹. ومن أعظم النصائح لكم، هو تحذيركم
من الإقامة بأرض العدو، قال الله تعالى: (وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ)²⁰.
قال في الكتاب "لا تركنوا: شامل للانحطاط في هوائهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم
ومجالستهم ومداهنتهم والرضى بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيمهم، ومد العين إلى زمرتهم
بما فيه تعظيم لهم. قال: وتأمل قوله: (وَلَا تَرْكُنُوا)، فإن الركون هو الميل اليسير، فهذا فيمن
ركن إلى الظالم، فكيف بالظالم"²¹؟

¹⁴ نوازل ابن رشد وابن الحاج التجيبي، والونشريسي...

¹⁵ محمد بن المدني كنون: رسالة التحذير من الإقامة بأرض العدو، /و. 1 ظ/.

¹⁶ الكاف بثلاثة نقط.

¹⁷ هكذا وردت في المخطوطة، فالمؤلف لم يذكر اسم صاحب السؤال.

¹⁸ عن تميم الداري: "إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ. قالوا: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: لله، ولبنيته، ولأئمة المؤمنين وعامتهم"، أخرجه مسلم 55، وأبو داود 4944، والنسائي 4197 وأحمد 16945 واللفظ له.

¹⁹ صحيح مسلم

²⁰ سورة هود، الآية: 113.

²¹ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت.538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط.3،
(بيروت: دار الكتاب العربي)، 1407، 2/ 433.

وقال الإمام أبو عبد الله بن الحاج²² في المدخل²³، عن حجة الإسلام الغزالي²⁴ ما نصه: "قال ﷺ: من مشى إلى صاحب بدعة ليوقرَه فقد أعان على هدم الإسلام"²⁵. وقال ﷺ: من أعرض عن صاحب بدعة بغضاً له في الله ملاً الله قلبه أمناً وإيماناً، ومن انتهز صاحب بدعة رفع الله له مائة درجة، ومن سلم على صاحب بدعة أو لقيه بالبشرى²⁶ فقد استخف بما نزل على محمد ﷺ²⁷. وقال ﷺ: إن الله لا يقبل لصاحب بدعة صوماً ولا صلاة ولا زكاة ولا حجا ولا عمرة ولا جهاداً ولا صرفاً ولا عدلاً، ويخرج من الإسلام كما يخرج السهم من الرمية، أو كما تخرج الشعرة من العجين"²⁸.
وفي الصحيحين²⁹:

"مَنْ أَحَدَثَ حَدَثًا أَوْ أَوَى مُحَدِّثًا فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، و/1.

ظ/ لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً"³⁰.

ومن المقرر المعلوم أنه لا ظلم ولا بدعة أعظم من الكفر، ومن رضي بفعل قوم فهو منهم. فكيف بمن يساكنهم ويأوي إليهم ويطعمهم ويحسن إليهم ويتودد إليهم ويواسيهم.

²² ابن الحاج (ت. 737 هـ/ 1336 م) محمد بن محمد بن محمد ابن الحاج، أبو عبد الله العبدي المالكي الفاسي، نزيل مصر: فاضل. تفقه في بلاده، وقدم مصر، وحج، وكف بصره في آخر عمره وأقعد. وتوفي بالقاهرة، عن نحو 80 عاماً. له (مدخل الشرع الشريف - ط) ثلاثة أجزاء، قال فيه ابن حجر: كثير الفوائد، كشف فيه عن معاييب وبدع يفعلها الناس ويتساهلون فيها، وأكثرها مما ينكر، وبعضها مما يحتمل.

²³ أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدي الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (المتوفى: 737 هـ): المدخل، (د.م.: دار التراث، د.ت.)، 4 أجزاء.

²⁴ حجة الإسلام، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (450- 505 هـ/ 1058- 1111 م)، فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف.

²⁵ الهيثمي: مجمع الزوائد، 193/1، فيه بقية وهو ضعيف، ابن الوزير اليماني: العواصم والقواصم، 379/3، غريب أو منكر.

²⁶ "بالبشر" عند ابن الحاج، ص. 80 المدخل: أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدي الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (المتوفى: 737 هـ) (د.م.: دار التراث، د.ت.)، 80/1.

²⁷ ابن الوزير اليماني: العواصم والقواصم، 380/3، غريب أو منكر.

²⁸ ابن الحج، المدخل، 80/1.

²⁹ صحيح البخاري، وصحيح مسلم.

³⁰ البخاري 1870، ومسلم 1370.

———— التحذير من الإقامة بأرض العدو لأبي عبد الله محمد بن المدني بن علي كنون: دراسة وتحقيق
ولقد سئل سفيان الثوري³¹ عن ظالم أشرف على الهلاك في برية، هل يسقى
شربة ماء؟ فقال: لا، فقيل له: يموت؟ قال: دعه يموت³².
وقال في الإبريز³³ ما نصه: "الرابع أي من الأسباب الموجبة لانقطاع العبد عن ربه
عز وجل: الخوف من الظالم على العمر والرزق وغيرهما، فيقول في نفسه: لا أعصي هذا
الظالم، لأنني إن عصيته قتلتني أو منع رزقي، أو غير ذلك مما يوجب الخوف منه، ولو تحقق
بوجود الحق سبحانه³⁴ وتعالى معه وتصرفه فيه وفي ذلك الظالم، لَعَلِمَ [أن الله تعالى]³⁵ هو
الفاعل وحده لا يشاركه ذلك الظالم ولا غيره في فعل من الأفعال، وحينئذ فلا يخاف إلا منه
تعالى، وبقدر ما يقوى هذا النظر في العبد يقوى³⁶ قربه من الله³⁷ تعالى، وبقدر ما يقل³⁸ و
ينعدم يكون بعده من الله عز وجل وانقطاعه [عنه]³⁹.
الخامس: الطمع في الظالم، فيتقرب إليه لينال منه رزقا، ولو تحقق بأن الله سبحانه
هو الرزاق لم يصدر منه ذلك.

³¹ أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (97هـ-161هـ) فقيه كوفي، وأحد أعلام الزهد عند المسلمين، وإمام من
أنمة الحديث النبوي، وواحد من تابعي التابعين، وصاحب واحد من المذاهب الإسلامية المندثرة، والذي ظل مذهبه متداولاً
حتى القرن السابع الهجري، نشأ سفيان الثوري في الكوفة وتلقى العلم بها، وسمع من عدد كبير من العلماء، حتى صار إماماً
لأهل الحديث في زمانه. طلبه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ومن بعده ابنه المهدي لتولي القضاء، فتهرب منهما
وأعياهما، حتى غضبا عليه وطاردوه حتى توفي متخفياً في البصرة سنة 161 هـ.

³² أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط.3،
(بيروت: دار الكتاب العربي، 1407 هـ)، 434/2.

³³ هو كتاب: الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي.

³⁴ لم ترد في نص الإبريز.

³⁵ لم ترد في نص الإبريز.

³⁶ "يقويك" في الأبريز.

³⁷ "ربه" في الإبريز.

³⁸ "أو" في الإبريز.

³⁹ لم ترد في نص الإبريز.

السادس: النصيحة⁴⁰ للكافرين، فيلهمهم مصالحهم في دُنياهم بأن يُرى لهم طريقاً ونحوه، فإنه من أسباب الانقطاع عن الله عز وجل. قلت: وما رأيتُ من نصح ظالماً إلا وكانت عاقبتهُ أمره خسراً، ونذكرها هنا⁴¹ قصة سفيان الثوري رضي الله عنه مع الذي أراد أن يوقظ حرسياً [للصلاة⁴²]، فقال له سفيان: لا توقظه، دعه هذه الساعة نستريح⁴³ منه ومن شره فيها.

السابع: عدم النصيحة للمسلمين، فيرى ما يضرهم ولا يأمرهم بالتحرز منه، ويرى ما ينفعهم ولا يأمرهم بالتأهب له⁴⁴، المراد من كلام الإبريز.

وقال في العلوم الفاخرة: "روى زبير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا/و2/و/ نسمعُ أنّ الرَّجَلَ يتعلَّقُ بالرَّجُلِ يومَ القيامةِ وهو لا يعرفُه فيقولُ له: ما لك إليَّ وما بيني وبينك معرفةٌ؟ فيقولُ كنتَ تراني على الخطأ وعلى المنكرِ ولا تنهاني"⁴⁵.

وقال أبو حامد الغزالي في كتاب الأربعين له: "كل من شاهد منكراً وسكت عليه فهو شريك فيه"⁴⁶. وفي الإبريز أيضاً: "أن المعاصي ومخالفة أوامر الله تعالى لا تكون إلا مع الظلام الذي بينه وبين ظلام جهنم خيوط واتصالات يحصل [للحاضر السفر]⁴⁷ من جهنم بسببها، ولا أحد أعرف بذلك من الملائكة⁴⁸، فإذا اجتمع قوم على معصية عمّ الظلام ذلك الموضوع فتتفر الملائكة عنه⁴⁹، وإذا نفرت الملائكة جاء الشيطان وجنوده فعمروا الموضوع، من فتصير أنوار إيمانهم حينئذ كالمصاييح التي جاءتها الرياح العاصفة من كل مكان، فتري نورها مرة يذهب إلى هذه الجهة، ومرة إلى هذه، ومرة ينعكس إلى أسفل حتى تقول إنه انطفأ واضمحل، ولهذا كانت المعاصي بريد الكفر والعياذ بالله"⁵⁰.

⁴⁰ "النصرة" في نص الإبريز

⁴¹ "ههنا" في نص الإبريز.

⁴² زيادة من نص الإبريز.

⁴³ "نستريح" في نص الإبريز

⁴⁴ أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي: الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، ضبطه وصححه ووضع حواشيه الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكلياني، ط.3، (بيروت: منشورات محمد علي بيضون- دار الكتب العلمية، 2002)، ص. 323-324.

⁴⁵ المنذري: الترغيب والترهيب، 3/235.

⁴⁶ أبي حامد الغزالي (ت. 505هـ): كتاب الأربعين في أصول الدين في العقائد وأسرار العبادات والأخلاق، عني به وصححه وخرج أحاديثه عبد الله عبد الحميد عرواني، مراجعة الشيخ الدكتور محمد بشير الشقفة، (دمشق: دار القلم، 2003)، ص. 95.

⁴⁷ لم ترد في نص الإبريز.

⁴⁸ في الإبريز: الملائكة الله تعالى.

⁴⁹ "عنهم" في الإبريز

⁵⁰ الإبريز، ص. 338

التحذير من الإقامة بأرض العدو لأبي عبد الله محمد بن المدني بن علي كنون: دراسة وتحقيق
ثم قال: "ولو فرضنا جماعة يشربون الخمر، ويظهرون المعاصي، ثم فرضنا رجلا
جاءهم وفي يده دلائل الخيرات فجلس⁵¹ بينهم وجعل يقرأه⁵²، وأطال معهم الجلوس وجلس
معهم اليوم إلى آخره⁵³، وهو على قراءته وهم على معاصيهم، فإنه لا يذهب عليه الليل
والنهار حتى ينقلب إليهم، ويرجع من جملتهم للعلة التي ذكرناها. ولهذا نهي عن الاجتماع مع
أهل الفسوق والعصيان، لأن الدم والشهوة والغفلة فينا وفيهم، إلا من رحمه الله وقليل ما
هم، والله أعلم"⁵⁴.

وفي الحديث: "المرء على دين خليله"⁵⁵. وقد أجمع الصوفية على أن أصل كل خير
الخلطة واللقمة، وأن أصل كل شر الخلطة واللقمة⁵⁶، وقد قيل:

اختر لصحبتك من أطاع	أنَّ الطباع تسرق الطباع
عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسْلاً عَنْ قَرِينِهِ	فَكُلُّ قَرِينٍ بِالمُقَارِنِ يَقْتَدِي

⁵¹ وجلس في الإبريز

⁵² يقرؤها في الإبريز

⁵³ في الأصل: على أخيه، والتصحيح من الإبريز.

⁵⁴ الإبريز، ص. 238-239.

⁵⁵ أخرجه أبو داود 4833 والترمذي 2378 وأحمد 8398 باختلاف يسير.

⁵⁶ علي حرازم ابن العربي برادة: جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التجاني، ضبطه وصححه وخرج آياته
عبد اللطيف عبد الرحمن، ط.3، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2018)، 82/1. يقول الشيخ أحمد رزوق: "أصل كل خير
وشر اللقمة والخلطة، فكل ما شئت فمثله تفعل، واصحب من شئت فأنت على دينه"، أبو العباس شهاب أحمد بن أحمد بن
محمد بن عيسى زروق الفاسي البرنسي (ت899هـ): قواعد التصوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، ط.2، (بيروت: دار الكتب
العلمية، 1426هـ - 2005م)، ص. 66.

ولهذا قال العلماء، ابن عرفة⁵⁷ وغيره: "تحرم الإقامة والسكنى/و.2 ظ/ بين قوم لا يتناهون عن المنكر، ولا زاجر لهم يزجرهم عنها وإن لم يباشروا، هو معهم ما هم عليه، وتجب عليه هجرتهم. قالوا: فإن لم يهاجر كان ساقط الإقامة والشهادة"⁵⁸.

وقال ابن العربي⁵⁹ في الأحكام: "الهجرة، وهي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام كانت فرضاً في أيام النبي ﷺ، وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة"⁶⁰.

ونقله في المعيار قال: "وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل. قال في المعارضة⁶¹:
 فإن قيل: فإذا لم يوجد بلد إلا كذلك؟ قلنا: يختار المرء أقلها إثماً، مثل أن يكون بلد فيه كفر، وبلد فيه جور، فبلد الجور والحلال خير"⁶²، إلى أن قال⁶³:

⁵⁷ أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الوردغي فقيه مالكي، أشعري المعتقد، ولد 716هـ/1316م وتوفي 803هـ/1400م. كان إمام جامع الزيتونة وخطيبه في العهد الحفصي. تفقه على القاضي ابن عبد السلام الهواري وأخذ عنه الأصول، وأخذ القراءات عن محمد بن محمد بن حسن بن سلامة الأنصاري. ابتداء الخطابة سنة 772هـ. والفتوى سنة 773هـ، ودرّس بجامع الزيتونة. عاصر ابن خلدون وتنافس معه، برز في الأصول والفروع والعربية والقراءات وغير ذلك، وصار المرجوع إليه في الفتوى ببلاد المغرب، وتصدّى للتدريس وإسماع الحديث مع علو الرتبة عند السلطان. حج سنة 793هـ، ومر بالقاهرة وأخذ عنه المصريون والمدنيون، المصادر متفقة على أن وفاته سنة 803هـ من كتبه: تفسير للقرآن الكريم صدر تحت عنوان تفسير ابن عرفة المالكي، تحقيق د. حسن المناعي، نشر مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، 1986. وهذا التفسير جمعه تلاميذه ومات قبل أن يكمله، كتاب المختصر الكلامي، طبع مؤخراً. كتاب المختصر الفقهي، مطبوع. مختصر الفرائض، مخطوط. المبسوط في الفقه سبعة مجلدات، قال فيه السخاوي: شديد الغموض. الطرق الواضحة في عمل المناصحة، مخطوط. الحدود في التعاريف الفقهية، مطبوع.

مصادر الترجمة: الديباج، ص.419، إنباء الغمر، 2/192، الضوء اللامع، 9/241، نيل الأيتهاج، 2/127.

⁵⁸ أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني: نصيحة أهل الإسلام بما يدفع عنهم داء الكفرة للنام، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2007)، ص.204.

⁵⁹ أبو بكر ابن العربي (468 - 453 هـ = 1076 - 1148 م)، محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي قاض، من حفاظ الحديث. ولد في إشبيلية، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتابا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها.

⁶⁰ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت.543هـ): أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط.3، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ - 2003م)، 1/603.

⁶¹ الصواب: المعارضة، أبو بكر محمد بن العربي: عارضة الأحوذ يشرح صحيح الترمذي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.)، 88/7-89، باب الهجرة.

⁶² الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى: (ت.914هـ): المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إصدار جماعة من المحققين بإشراف د. محمد حيي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية - ودار الغرب الإسلامي، (بيروت، 1981)، 2/121-123.

⁶³ نفسه، ص.121-123.

التحذير من الإقامة بأرض العدو لأبي عبد الله محمد بن المدني بن علي كنون: دراسة وتحقيق

"ولا تسقط من الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى على بلادهم العدو لعنه الله إلا بالعجز عنها بكل وجه، بحيث لم يجد لها حيلة ولا سببا، كأن يكون مريضا جدا أو ضعيفا جدا، ولا بد مع ذلك من أن تكون له نية صادقة أنه إن قرر على الهجرة يوما ما هاجر، فحينئذ يرجى له العبد المشار له بقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ) الآية⁶⁴، ويرجى له النجاة من وعيد قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ)⁶⁵، إلى: (وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ)⁶⁶. وَقَوْلِهِ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ)⁶⁷، وقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا)⁶⁸، وقوله: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ)⁶⁹، وقوله: (ولا تركزوا)⁷⁰ الآية، وقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ)⁷¹، وقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)⁷².

ومن وعيد قوله ﷺ: "أنا بريء من كل مسلم مقيم بين أظهر المشركين"⁷³ / و3 / والحديث.

وقوله ﷺ: "لا تُسَاكِنُوا الْمُشْرِكِينَ وَلَا تُجَامِعُوهُمْ، فَمَنْ سَاكَنَهُمْ أَوْ جَامَعَهُمْ فَهُوَ مِنْهُمْ"⁷⁴.

⁶⁴ النساء: 97.

⁶⁵ الممتحنة: 1.

⁶⁶ الممتحنة: 1.

⁶⁷ آل عمران: 119.

⁶⁸ النساء: 144.

⁶⁹ آل عمران: 28.

⁷⁰ هود: 113.

⁷¹ المائدة: 51.

⁷² المائدة: 57.

⁷³ رواه أبو داود 2645، والترمذي 1604.

⁷⁴ أخرجه الترمذي في "سننه": 155 / 4، 156 "كتاب: السير" باب "ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين، عن سمرة بن جندب، والبيهقي في: "سننه": 12 / 9 - 13، "كتاب: السير" باب: فرض الهجرة، عن جرير بن عبد الله البجلي، مرفوعاً بلفظ: "من أقام مع المشركين فقد برئت عنه الذمة".

ولفظ أبي داود عن سمرة: "من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله"⁷⁵. قال في المعيار: "ولا معارض لهذين الحديثين ولا ناسخ ولا مخصّص ولا مخالف لهما من أئمة المسلمين"⁷⁶.

ونقل ابن رشد⁷⁷ في المقدمات الحديث الأول، ثم قال: "فإذا وجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة على من أسلم بدار الحرب أن يهجرها"⁷⁸ ويلحق بدار الإسلام⁷⁹ ولا يقيم⁸⁰ بين أظهر⁸¹ المشركين، لثلاث تجرى عليه أحكامهم، فكيف يباح لأحد الدخول إلى بلادهم حيث تجرى عليه أحكامهم في تجارة أو غيرها"⁸². قال: "ولا تستقر نفس أحد على هذا إلا [هو]⁸³ مسلم مريض بالإيمان"⁸⁴.

وقال ابن ناجي⁸⁵ عن القاضي عبد الوهاب⁸⁶: "إنما نهى عن السفر لأرض الحرب" لأن فيه تغيير الإنسان بنفسه وماله [ودينه]⁸⁷ وإذلالا للدين وإعزازا⁸⁸ للمشركين، لأنه يحصل

⁷⁵ أبو داود 2787، سكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح].

⁷⁶ الونشريسي، المعيار... م. س، 2/126.

⁷⁷ هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (450-520هـ/1058-1126م)، قاضي الجماعة بقرطبة، من أعيان المالكية، وهو جد الفيلسوف ابن رشد محمد بن أحمد، انظر ابن بشكوال، الصلة، ص. 576-577، ابن فرحون: الديباج، ص. 278.

⁷⁸ "يهاجر" في المقدمات، محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، أبو الوليد: المقدمات المهمات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات لأمّهات مسائلها المشكلات، تحقيق أسعيد أحمد أعراب، (دم.: دار الغرب الإسلامي، 1988)، 2/153.

⁷⁹ "المسلمين" في المقدمات، 2/153.

⁸⁰ "يثوي" في المقدمات، 2/153.

⁸¹ لم ترد في المقدمات، 2/153.

⁸² في المقدمات، 2/153.

⁸³ زيادة من المقدمات، 2/153.

⁸⁴ المقدمات، 2/153.

⁸⁵ قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني، (ت. 837هـ/1433م)، فقيه، من القضاة، من أهل القيروان. تعلم فيها وولي القضاء في عدة أماكن. أنظر شجرة النور الزكية، 1/352، كفاية المحتاج، ص. 282.

⁸⁶ القاضي عبد الوهاب المالكي هو أبو محمد عبد الوهاب بن نصر بن علي التعلبي البغدادي، أحد أعلام المذهب المالكي، ولد في بغداد، ونشأ بها، وتلقى العلم فيها عن أفاضل شيوخها، ووالده كان من العلماء ببغداد، وأخوه كان أدبياً مشهوراً، توفي سنة 422 هـ، في مصر بعد أن رحل عن بغداد سنة 419 هـ.

⁸⁷ غير واردة في شرح ابن ناجي، قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني (المتوفى: 837هـ): شرح ابن ناجي التنوخي على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، اعتنى به: أحمد فريد الزبيدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1428 هـ - 2007)، 2/485.

⁸⁸ اعتزازا في شرح ابن الناجي، 2/485.

التحذير من الإقامة بأرض العدو لأبي عبد الله محمد بن المدني بن علي كنون: دراسة وتحقيق في بلاد المشركين بحيث تجري عليه أحكامهم، ويرى الكفر بالله جهارا ولا يمكنه دفعه، ولا يأمن على نفسه [الفتنة]⁸⁹ من الإكراه على ترك الدين و⁹¹ غدرهم⁹² به وإنزالهم إياه على حكمهم وكل ذلك مما قد منعت⁹³ الشريعة مع القدرة على تركه، فله في بلاد المسلمين مندوحة عن التعرض لهذه الأمور"⁹⁴، وقد قال تعالى: (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة)⁹⁵.

قال الفاكهاني⁹⁶: "ولا خلاف [و] أعلمه أن ذلك مما يسقط شهادة العدل [ولفسقه]⁹⁸ إذا سافر إلى بلاد العدو اختيارا"⁹⁹، ثم قال ابن ناجي: "جرت"¹⁰⁰ [لي]¹⁰¹ وأنا قاض بجربة"¹⁰² شهادة قاضي قوصرة برسم حق يشهد فيه من علمه، فطلب مني أن أوقع على خطه فلم أتمكن صاحبه من ذلك، لأنهم قادرون على التحيل للخروج منها، وربما يخرج بعض من فيها ويعود لها"¹⁰³، فهم في حكم الكفار"¹⁰⁴.

⁸⁹ زيادة من شرح ابن الناجي، 485/2.

⁹⁰ "و" في شرح ابن الناجي، 485/2.

⁹¹ "أو" في شرح ابن الناجي، 485/2.

⁹² "غدرهم" في شرح ابن الناجي، 485/2.

⁹³ منعت في شرح ابن الناجي، 485/2.

⁹⁴ شرح ابن الناجي، 485/2.

⁹⁵ سورة النساء، الآية: 100.

⁹⁶ تاج الدين الفاكهاني (654-734هـ/1256-1334م)، أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدين الفاكهاني: عالم بالنحو، من أهل الإسكندرية، زار دمشق سنة 731هـ واجتمع به ابن كثير (صاحب البداية والنهاية)

⁹⁷ زيادة من شرح ابن الناجي، 485/2.

⁹⁸ زيادة من شرح ابن الناجي، 485/2.

⁹⁹ شرح ابن الناجي، 485/2.

¹⁰⁰ "وجرى" في شرح ابن الناجي، 485/2.

¹⁰¹ زيادة من شرح ابن الناجي، 485/2.

¹⁰² جربة هي جزيرة تونسية تقع في جنوب شرق تونس في خليج قابس. تبلغ مساحتها 514 كم مربع.

¹⁰³ "ويعدلها" في شرح ابن الناجي، 485/2.

¹⁰⁴ شرح ابن الناجي، 485/2.

وقد أفتى الإمام المازري¹⁰⁵ -رحمه الله- بعدم جواز دخول المسلمين لأرض الكفار لجلب الأقوات، وإن اشتد الغلاء بهم، حيث كانت أحكام الكفار تجري على الداخلين إليهم من المسلمين، قال: لأن حرمة المسلم لا تنتهك /و.3 ظ/ بالحاجة إلى الطعام، فإن الله سبحانه يغنيه من فضله إن شاء¹⁰⁶.

وقد قال بعض الشيوخ: "إن التاجر إلى أرض الكفار قريب من الجاسوس أو هو عينه، لأن الغالب عليه أن النصراني يسألونه عن أحوال المسلمين، ولا يجد بدا من جوابهم، ولأنه يعينهم بما ينقل¹⁰⁷ إليهم من أنواع المتاجر ولا سيما السلاح، ومن أعانهم فقد أشرك في دماء المسلمين"¹⁰⁸. وحكم الجاسوس أنه يقتل ولا تقبل له توبة¹⁰⁹، كما في خليل¹¹⁰. وذكر في كتاب فلك السعادة¹¹¹ عن الزناتي¹¹² أن النبي ﷺ قال: "لا ترافقوهم في الأسفار، ولا تسكنوهم، في الأمصار واضربوا بينكم وبينهم بسور البعاد"¹¹³. قال: "وروى الزناتي أيضاً- أنه ﷺ قال: من ضحك في وجه يهودي، فكأنما قرصني في فؤادي"¹¹⁴. وقد قيل: (من وإلى أعداء الله، تبرأ الله منه، ووكله إليهم).

¹⁰⁵ أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري، إمام المالكية في عصره، ومن المحدّثين المشهورين، بلغ درجة الاجتهاد، حتى سُمّي "بالإمام". وُلد المازري في حدود سنة 443 هـ، وقيل سنة 453 هـ/ الموافق 1061، تُوّي يوم 18 ربيع الأول سنة 536 هـ وقيل يوم 8 ربيع الأول الموافق 1141 في مدينة المهديّة عن عُمر 83 عامًا، ودُفن في المنستير في تونس، وأقيم على قبره مقامًا يزوره الزوّار. انظر حسن حسني عبد الوهاب: الإمام المازري، دار الكتب الشارقة تونس، د.ت، ص 49 وما بعدها.

¹⁰⁶ علي بن عبد السلام بن علي، أبو الحسن التُّسُولي المالكي: أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، دراسة وتحقيق عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996)، ص. 149.

¹⁰⁷ "نقل" في أجوبة التسولي... م. س، ص 116.

¹⁰⁸ أبو الحسن التُّسُولي: أجوبة التسولي... م. س، ص 116.

¹⁰⁹ مختصر خليل، ص 98.

¹¹⁰ هو خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندي، فقيه مالكي من اهل مصر، تعلم في القاهرة، وولي الإفتاء على مذهب مالك، ترجمته في الديباج لابن فرحون، ص 115، ابن حجر: الدرر الكاملة، 2/ 86، الزركلي: الأعلام، 2/ 315.

¹¹¹ ابن طاهر العلوي السجلماسي: فلك السعادة الدائري بفضيل الجهاد والشهادة، مخطوط بخزانة القرويين.

¹¹² هو "موسى بن أبي علي الزناتي الزموري المولد والمنشأ، نزيل مراكش، الفقيه الصالح المدرس المذكر أبو عمران شارح الرسالة والمدونة والمقامات وغيرها كتأليفه في المولد. أخذ عنه أبو العباس بن البنا بمراكش في العشر الأول من المائة الثامنة بل في سنة اثنين منها. صح من خط بعض أصحابنا"، ص 604 كتاب نيل الاجتهاد بتطريز الديباج، انظر ترجمته في الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام 7: 99.

¹¹³ لم أقف عليه.

¹¹⁴ لم أقف عليه.

التحذير من الإقامة بأرض العدو لأبي عبد الله محمد بن المديني بن علي كنون: دراسة وتحقيق
فهذه النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، والإجماعات القطعية، كلها كما في
المعيار- صريحة في: وجوب الهجرة، وحرمة الإقامة في بلادهم¹¹⁵، فإما من فيه أدنى نصيب
من الإسلام البرار بالخروج من أرض الكفر إلى أرض الإيمان قبل نزول الحمام.
هذا وقد قال مالك¹¹⁶ وأبو حنيفة¹¹⁷ وأصبغ¹¹⁸ وابن رشد فيمن أسلم وبقي بدار
الحرب أن ماله لمن أخذه وليس بمعصوم حتى يخرج به لدار الإسلام. وألحق به الفقهاء
المتأخرون من كان مسلماً بالأصالة، وبقي ساكناً معهم، ولم يهاجر، وأخرى لو فرّمتاً إليهم
كما في المعيار¹¹⁹، لا سيما وكل مقيم ببلادهم لا بد أن يؤدي جزية لهم، فهو دائماً معين لهم
علينا، ومكثّر لسوادهم، "ومن كثر سواد قوم فهو منهم"¹²⁰، وذلك مرجح لإباحة أموالهم،
كما قال الإمام مالك ومن وافقه.

وقد أفتى الامام ابن زكري¹²¹ "بأنهم يقاتلون قتال الكفار حيث أعانوا الكفار ولو
بالمال"¹²² والله أعلم. /و4. و/ جعلنا الله وإياكم من (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ
أَحْسَنَهُ)¹²³، ووقفنا جميعاً لما يحبه ويرضاه بمنه وكرمه، آمين.

¹¹⁵ أبو الحسن التُّسُولِي: أجوبة التسولي... م. س. ص 306.

¹¹⁶ هو الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، ينتهي نسبه إلى يعرب بن يشجب بن قحطان الأصبغي،
جده أبو عامر صحابي جليل، أحد أعلام الإسلام، إمام دار الهجرة، ولادته بالمدينة، ولا تتفق الروايات على سنة ولادته، فتذكرها ما بين
سنتي (90 - 97هـ) (وتوفي بصبيحة أربع عشرة من ربيع الأول، سنة تسع وسبعين ومائة (179هـ، 795م). في خلافة هارون الرشيد، وصلى
عليه عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وهو يومئذٍ والٍ على المدينة، ودفن بالبقيع، وكان ابن خمس
وثمانين سنة"، أنظر شرح الزرقاني على الموطأ، ج 1، ص 53، والفهرست؛ لابن النديم، ص 280-284، والكمال؛ لابن الأثير، 147/6،
تهذيب الأسماء واللغات؛ للتووي، 75/2-79.

¹¹⁷ الإمام النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، الكوفي، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة، توفي سنة 150هـ، أنظر تاريخ البغدادي،
323-423، ابن خلكان: الوفيات، 2/163.

¹¹⁸ أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع، فقيه من كبار المالكية بمصر، (ت. 225هـ)، أنظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، 1/79.

¹¹⁹ الوئشريسبي: المعيار... م. س. 2/129.

¹²⁰ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، 13/41.

¹²¹ هو شيخ الإسلام الإمام أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري المعراوي (نسبة إلى مغراوة وهي قبيلة عظيمة من زناتة) المانوي (نسبة إلى بني
مانو وهم من قبائل زناتة البربرية) التلمساني (نسبة إلى مدينة تلمسان) المالكي، لقب بشيخ الإسلام والحافظ. ولد بمدينة تلمسان ما بين
عامي (820هـ و827هـ)، وتوفي أبوه وتركه يتيماً صغيراً فكفلته أمه، وتعلم الحياكة فاستؤجر للعمل بنصف دينار في الشهر، فرآه العلامة
ابن زاغو، فأعجبه كذاؤه، فسأله عن ولي أمره فقال أمي، فذهب إليها وتعهد بأن يعطها في كل شهر نصف دينار وأن يفقه ولدها ويؤدبه،
فرضيت، واستمر إلى أن نبغ واشتهر. توفي رحمه الله عام (899هـ).

¹²² أجوبة التسولي، ص 310

¹²³ الزمر: 18.

تكميل

واعلم أنه لا يصح الاحتجاج بالقدر، كما في قول المشركين: (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا)¹²⁴، (لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ)¹²⁵ الآية. (لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ)¹²⁶، "لأن المالك المتصرف في ملكه كيف يشاء لم يقبل الاحتجاج به، لا لأن القدر في نفسه غير قاهر للعبد؟ ولعدم الاحتجاج بالقدر لطيفة، وهي أن العبد قبل الفعل غير مطلع على ما جرى به القدر، لعدم اطلاعه على الغيب، فلا يقصد بفعله المنهي موافقة القدر، بل لا يعلم أن الفعل سبق به القدر إلا بعد وقوعه"¹²⁷.

قال الشعراني¹²⁸ في العهود¹²⁹: "يحكى أن إبليس قال يا رب تأمرني بالسجود لآدم ولم ترد ذلك مني، فلو أردته مني لوقع ولم أخالف، قال: متى علمت أني لم أردك منك، قبل الإجابة أم بعدها؟ قال: بل بعدها، قال: فبذلك أخذتك".

وقد ذكر العارف بالله سيدي محمد ابن عباد رحمته الله¹³⁰ ونفعنا به- في جواب له "أن قول القائل لمن يلومه على التفريط وترك العمل الصالح ما وفقت¹³¹ لذلك، هو خطأ إن قاله على سبيل الانتصار لنفسه والاحتجاج لها ونفي اللوم عنها؛ لأن العبد من حيث هو عبد لا يليق به الاحتجاج لنفسه والانتصار لها ونفي اللوم عنها بين يدي مولاه وإظهار أن لا حق عليه له، وإن كان في كلامه ذلك¹³² ينطق بالحكمة ومحض الحق"¹³³.

¹²⁴ الأنعام: 148.

¹²⁵ النحل: 35.

¹²⁶ الزخرف: 20.

¹²⁷ محمد الطيب بن كيران الفاسي (ت. 1227هـ): شرح الطيب ابن كيران على توحيد الإمام ابن عاشر مع تعليقات دقيقة من حاشية الوزاني وغيرها، اعتنى به وعلق عليه عماد الجليلاتي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2020)، ص. 264.

¹²⁸ هو أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري المشهور بالشعراني، ولد في قلقشنده يوم 27 رمضان سنة 898 هـ، توفي في القاهرة، في جمادى الأولى سنة 973 هـ.

¹²⁹ العهود المحمدية

¹³⁰ هو محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم ابن عباد، وبه عرف النفزي الرندي الفقيه العالم الصوفي، شرح حكم ابن عطاء الله، ت. 792هـ/1389م، أنظر ترجمته في: أنس الفقير، ص. 79، جذوة الاقتباس، 315-316.

¹³¹ "وقفنا" في شرح الطيب، ص. 265.

¹³² لم ترد في شرح الطيب، ص. 265.

¹³³ محمد بن الطيب: شرح الطيب... م. س، ص 265.

التحذير من الإقامة بأرض العدو لأبي عبد الله محمد بن المدني بن علي كنون: دراسة وتحقيق
ومن كلام سهل بن عبد الله¹³⁴ ﷺ: "إذا عمل العبد سيئة فقال: يا رب سيئة فقال: يا
رب أنت قدرت وقضيت وحكمت، غضب المولى عليه، وقال: يا عبدي بل أنت أسأت وجهلت
وعصيت"¹³⁵.

ثم إن الذي جزم به كثير من المتأخرين أنه "لا يجوز إطلاق أن الله أراد الكفر
والمعاصي والشُرور وخلقها"¹³⁶، وإنما و.و/4. يقال خلق الكائنات كلها ونحو ذلك تأدبا
وحذرا من إيهام أن المعصية حسنة مأمور بها، ويؤيده قوله تعالى: (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ
فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ)¹³⁷، مع قوله قبل: (قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ)¹³⁸،
وأيات كثيرة كما تقرر في محله، وإن كان الكل في الحقيقة والاعتقاد بخلق الله وإرادته.

قال في الرسالة: "يضل من يشاء، فيتخذ له بعدله، ويميز من يشاء فيوفقه
بفضله، فكل مبشر لما خلق له من شقاوة أو سعادة"¹³⁹. وفي الحكم: "إن أردت أن تعرف
قدرك عندك فانظر في ماذا يقيمك"¹⁴⁰. ومن كلام ابن عباد ﷺ: "من علامة الخذلان ثلاث:
تعسر الطاعة عليك مع السعي فيها، ودخول المعاصي عليك مع الهروب منها"¹⁴¹.

قال العلامة ابن زكري في شرح الحكم: كثيرا ما يحتج الكفار لأنفسهم إذا دعوا
للإسلام بمجرد الحقيقة، وكذا جهلة العصاة إذا دعوا للطاعة، فيقولون: لو أراد الله منا
ذلك لوقع، ولا قدرة لنا على خلاف ما أراه الله.

¹³⁴ أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث
الهجري، سكن البصرة وعبادان مدة. له كتاب في «تفسير القرآن» وكتاب «رقائق المحبين»، توفي سنة 283 هـ، انظر سير
أعلام النبلاء، 13/331.

¹³⁵ شرح الطيب، ص.270.

¹³⁶ شرح الطيب، ص.268.

¹³⁷ سورة النساء، الآية 79.

¹³⁸ سورة النساء، الآية 78.

¹³⁹ لم أقف على هذا النص في الرسالة القشيرية.

¹⁴⁰ ابن عطاء الله السكندري: الحكم العطائية، شرح ابن عباد النفري الرندي، إعداد ودراسة محمد عبد المقصود هيكال،
القاهرة، دن، (1988)، ص.59.

¹⁴¹ ابن عباد، محمد بن إبراهيم: شرح الحكم العطائية، (د.م.: دار الفرفور، 2003)، ص.193.

وجوابهم أن يقال لهم: ما لكم لا تسعون في مصالح انفسكم، وتجتهدون كل الاجتهاد في تحصيلها، ولا تعتمدون فيها على المراد؟ وهل كوشفتم بأن الله أراد منكم الكفر والمعصية في المستقبل، فإنه مستور عنكم؟ ولعل الله أراد منكم فيه خلاف ما انتم عليه، فسعوا في ذلك كما تسعون في شهواتكم وأغراضكم.

وقال في قوت القلوب¹⁴²: "كتب بعض السلف إلى بعض إخوانه من أبناء الدنيا يعظه: أخبرني عن هذا الذي تكدح فيه وتحرص عليه من أمور الدنيا هل بلغت فيه ما تريد، وأدرت ما تتمنى؟ فقال لا والله. قال: أفرايت هذا الذي أنت حريص عليه لم تنل منه ما تريد، فكيف تنال من الآخرة وقد عرضت عنها فما أراك تضرب إلا في حديد بارد"¹⁴³.

وإلى هذا أشار في الحكم بقوله: "اجتهادك فيما ضمن لك، وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك"¹⁴⁴، ومن هذا و/5 و/ الباب إذا ليم الانسان على ذنب يقول: إن الله غفور رحيم، وإذا سمع فلانا ربح ببلد كذا سعى إليها بكل ما يمكنه، كما قيل¹⁴⁵:

تَقُولُ مَعَ الْعِصْيَانِ رَبِّي غَافِرٌ	صَدَقْتَ وَلَكِنَّ غَافِرًا بِالْمَشِيئَةِ
وَرَبُّكَ رَزَّاقٌ كَمَا هُوَ غَافِرٌ	فَلِمَ لَا تُصَدِّقُ فِيهِمَا بِالسَّوِيَّةِ
فإِنَّكَ تَرْجُوا الْعَمَلُ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ	وَلَسْتَ تُرْجَى الرِّزْقَ إِلَّا بِحَيْثَلَةٍ
عَلَى أَنَّهُ بِالرِّزْقِ كَفَّلَ نَفْسَهُ	لِكُلِّ وَلَمْ يَكْفَلْ لِكُلِّ بَجَنَّةِ
فلم ترض إلا السعي فيما كفيته	وإهمال ما كلفته من قضية
تسيء به ظننا وتحسن تارة	على قدر ما يقضي الهوى في القضية

¹⁴² هو كتاب: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد

¹⁴³ محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: 386هـ): قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، تحقيق د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط. 2، 2005، 178/1.

¹⁴⁴ ابن عطاء الله السكندري: الحكم العطائية، شرح ابن عباد النفري الرندي، إعداد ودراسة محمد عبد المقصود هيكل، (القاهرة: دن، 1988)، ص. 47.

¹⁴⁵ الأبيات لابن المقرئ إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم ابن علي بن عطية بن علي الشاوري الزبيدي اليميني الحسيني الشافعي، يكنى أبو محمد ويلقب شرف الدين المعروف بابن المقرئ، (754هـ - 837هـ)، عالم عربي مسلم، ولد وتعلم في أبيات حسين، بني شاور، باليمن، شمال غرب شبه الجزيرة العربية، ثم تفقه في مدينة زيد، على يد قاضي الأقضية في اليمن جمال الدين الريسي، فقيه محقق، مؤلف: الإرشاد، وروض الطالب، وعنوان الشرف الوافي، له إبداعات في الفقه والتأليف الشعر والأدب واللغة والتاريخ.

التحذير من الإقامة بأرض العدو لأبي عبد الله محمد بن المديني بن علي كنون: دراسة وتحقيق

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كثيراً ما ينشد ¹⁴⁷:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة	وليلاً نوم والرد لك لازم
يفرك ما يفنى وتفرح بالمنى	كما غر باللذات في النوم حالم
وشغلك فيها سوف تكره غبيه	كذلك في الدنيا تعيش المهائم

وفي الحكم: "العجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه، ويطلب ما لا بقاء له معه" ¹⁴⁸، (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) ¹⁴⁹، ولذلك قال سيدي عبد الوارث رضي الله عنه:

فمن باع ما يبقى بما هو للبنى	فذاك به حى وقلبه أعور
------------------------------	-----------------------

وفي قصيدة للشيخ إسماعيل المقرئ اليمني:

أَفَانٍ بِيَاقٍ تَشْتَرِيهِ سَقَاهَةً	وَسُخْطًا بِرِضْوَانٍ وَنَارًا بِجَنَّةِ
كَلِمَتٍ يَهَا دُنْيَا كَثِيرًا غُرُورُهَا	تَعَامَلُ مِنْ فِي نُصْحِهَا بِالْخَدِيعَةِ
إِذَا أَقْبَلَتْ وَلَتْ وَإِنْ هِيَ أَحْسَنَتْ	أَسَاءَتْ وَإِنْ صَفَتْ فَثِقْتُ بِالْكَدُورَةِ
ولو نلت فيها مال قارون لم تنل	سوى لقمة في فيك منه وخرقة
وهبك بلغت الملك فيها ألم تكن	لتنزعه من فيك أيدي المنية /و. 5 ظ/
فعيدشك فيها ألف عام وتنقضي	كعيدشك فيها بعض يوم وليلة

¹⁴⁶ أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشي (61-101هـ/681-720م)، ثامن الخلفاء الأمويين، ولد سنة 61هـ في المدينة المنورة، ونشأ فيها عند أخواله من آل عمر بن الخطاب، فتأثر بهم وبمجتمع الصحابة في المدينة، وكان شديد الإقبال على طلب العلم. وفي سنة 87هـ، ولأه الخليفة الوليد بن عبد الملك على إمارة المدينة المنورة، ثم ضم إليه ولاية الطائف سنة 91هـ، فصار والياً على الحجاز كلها، ثم عُزل عنها وانتقل إلى دمشق. فلما تولى سليمان بن عبد الملك الخلافة قرّبه وجعله وزيراً ومستشاراً له، ثم جعله ولي عهده، فلما مات سليمان سنة 99هـ تولى عمر الخلافة. أنظر سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط. 2، 1402هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 144/5، الكامل في التاريخ، ابن الأثير، 271/3.

¹⁴⁷ تنسب هذه الأبيات للشاعر عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني أبو عبد الملك، ينتهي نسبه إلى مرة من بني شيبان، شاعر أموي، كان الخليفة عمر كثيراً ما ينشد شعره، له شعر كثير أكثره في الزهد، وقد كان كثير الأمثال.

¹⁴⁸ الحكم العطنانية...، م. س، ص. 53.

¹⁴⁹ الحج، الآية: 46.

وفي الحكم: "لَوْ أَشْرَقَ لَكَ نُورُ الْيَقِينِ لَرَأَيْتَ الْآخِرَةَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَزْحَلَ إِلَيْهَا، وَلَرَأَيْتَ مَحَاسِنَ الدُّنْيَا قَدْ ظَهَرَتْ كِسْفَةَ الْفَنَاءِ عَلَيَّهَا"¹⁵⁰. ومنها أيضا: "لا بد لبناء هذا الوجود أن تهدم دعائمه وأن تسلب كرائمه". ثم اعلم أن التوبة واجبة على الفور من غير تراخ ولا مهلة، فتأخيرها ذنب آخر تجب التوبة منه، ولتأخيرها أسباب منها: تأخير العقوبة وعدم المعالجة بها في الدنيا، فيغتر بالمهلة ويحمله تأخير العقوبة على استحقر الوصلة الوصلة، وهذا من المكر الخفي ومن أمارات الاستدراج. ففي الحديث: "إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج"151، وتلا عَلَيْهِ السَّلَامُ: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ)¹⁵²، الآية.

وفي الحكم: "خف من وجود إحسانه اليك، ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجا لك"¹⁵³، (سَدَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ)¹⁵⁴. ومنها أيضا: "من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات، وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات"¹⁵⁵؛ ومنها: طول الأمل، تقول: سوف أتوب وفي الأيام سعة، وأنا شاب مثلا، وهذا أيضا من الاغترار.

قال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ¹⁵⁶: "الدنيا ثلاث ساعات، ساعة مضت، وساعة أتت، وساعة لا تدرى أتدركها أم لا؟". وقد ذكر الغزالي: "إن طول الأمل هو الداء العضال الذي يوقع الخلق في أنواع البليات، فإن من طال أمله قلت طاعته، وتأخرت توبته، وكثرت معاصيه، واشتد حرصه وقسى قلبه، وعظمت غفلته عن العاقبة"¹⁵⁷.

¹⁵⁰ الحكم...م. س، ص. 68.

¹⁵¹ شعيب الأرنؤوط: تخريج المسند 17311، أخرجه أحمد، 17311، واللفظ له.

¹⁵² الأنعام: 44.

¹⁵³ الحكم...م. س، ص 57

¹⁵⁴ العراف: 182.

¹⁵⁵ الحكم...م. س، ص 54.

¹⁵⁶ أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري المتوفي سنة 32 هـ، صحابي من السابقين إلى الإسلام، قيل رابع أو خامس من دخل في الإسلام، وأحد الذين جهروا بالإسلام في مكة قبل الهجرة النبوية.

¹⁵⁷ الغزالي، أبو محمد بن محمد: منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، عني به بوجعة عبد القادر مكري، (بيروت: دار المنهاج، 2006)، ص. 116-118.

التحذير من الإقامة بأرض العدو لأبي عبد الله محمد بن المديني بن علي كنون: دراسة وتحقيق
وفي حديث ذكره ابن وضاح¹⁵⁸ "إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يتب، مسح الشيطان
بيده على وجهه وقال: بأبي وجه من لا يفلح"¹⁵⁹، ورجاء رحمة الله ومغفرته من غير توبة /و
6 و/ وعمل صالح حمق وغرور.

قال حجة الإسلام الغزالي^{رحمه الله} "وإياك أن تقول: إن الله كريم رحيم يغفر ذنوب العصاة،
فإن هذه كلمة حق أريد بها باطل، وصاحبها ملقب بالحماقة بتلقيب رسول الله ﷺ، حيث
قال: "الكيس: مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْأَحْمَقُ: مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَى عَلَى
اللَّهِ الْأَمَانِي"¹⁶⁰، إلى أن قال: "فلا تحدث نفسك بهوسات البطالين، ولا تطمع في أن تحصد ما
لم تزرع، وليت من صام"¹⁶¹ وصلى وجاهد واتقى غفر له"¹⁶².
وفي البخاري¹⁶³ عن عبد الله بن مسعود¹⁶⁴: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَهُ
جَبَلٌ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا
فَطَارَ"¹⁶⁵.

¹⁵⁸ أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيع (199 هـ - 287 هـ / 815 - 899 م) محدث أندلسي، من أهل قرطبة.
رحل إلى المشرق، وأخذ عن كثير من العلماء، وعاد إلى الأندلس فحدث مدة طويلة، وانتشر بها عنه علم جم، صنف كتباً، منها
(العباد والعبابد) في الزهد والرفائق، و(القطعان) في الحديث، و(البدع والنهي عنها) و(مكتون السر ومستخرج العلم) في فقه
المالكية، و (كتاب فيه ما جاء من الحديث في النظر إلى الله تعالى).

¹⁵⁹ العراقي: تخریج الإحياء، 3/ 35، لم أجد له أصلاً، قال ابن السبكي، 33/6: لم أجد له إسناداً.

¹⁶⁰ الغزالي، أبو محمد بن محمد: بداية الهداية، عني به أنس محمد عدنان شرفاوي وآخرون، دار المنهاج، بيروت، 2004، ص 205،
والحديث أخرجه الترمذي 2459، وابن ماجه 4260، وأحمد 17164.

¹⁶¹ في بداية الهداية جاءت كلمة "صلى" قبل "صام"، ص. 207.

¹⁶² الغزالي: بداية الهداية، ص. 207

¹⁶³ كتاب صحيح البخاري، أصح الكتب بعد القرآن الكريم.

¹⁶⁴ أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي حليف بني زهرة المتوفي سنة 32هـ، صحابي وفقه ومقرئ ومحدث، وأحد
رواة الحديث النبوي، وهو أحد السابقين إلى الإسلام، وصاحب نعلي النبي محمد وسواكه، وواحد ممن هاجروا الهجرتين
إلى الحبشة وإلى المدينة، ومن أدركوا القبليتين، وهو أول من جهر بقراءة القرآن في مكة، وقد تولى قضاء الكوفة وبيت مالها في
خلافة عمر وصدر من خلافة عثمان.

¹⁶⁵ البخاري: صحيح البخاري، 6308، أورده في صحيحه وذكر له متابعة وعلق عليه.

وفي الحكم: "الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية"¹⁶⁶، وإن لم يعلم حصول أسباب الموعود به بأن جهل هو لها فأمنية، فأما ما قطع فيه بأشبه الأسباب حمق وغرور، فالمتهمك في الفجور والمعاصي الذي لا يستقيم ذلك من نفسه ولا يقيم من أجله ولا يبالي بما حصل له منه ولا قيل في قلبه إلى الإقلاع ولا رجوع له عن الأضرار، ثم يقول: أرجوا ليس عندك إلا الحمق والغرور، وإنما لم يصح الرجاء من المتهمك وإن كان عنده الإيمان، لأنه منشغل بتجريب إيمانه وإفساده، والمعاصي بريد الكفر فهو مرتكب لمخاطرتين: إحداهما سوء الخاتمة، لأنه إذا اشتغل بتضعيف الإيمان جاءه الموت وهو على آخر رمق في غاية الضعف، فقد يسلم له ذلك القدر وقد لا، وهو المناسب لحاله؛ والثانية: نجد السلامة من هذه نفوذ الوعيد، فإن طائر حاله أنه من أهله وإن كان في المشيئة، لكن أخبر الشرع بأن المرتكب للكبائر من أهل ذلك والله تعالى أعلم.

ومع هذا، فلا يبأس من روح الله، وفرق بين عدم اليأس وبين الرجاء، فإن الرجاء موطن الفوز، وعدم اليأس هو أشباه القطع بالهلاك، قاله العلامة / و. 6 ظ / ابن زكري في شرحه للحكم¹⁶⁷.

والحاصل "أن من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه"¹⁶⁸، فاجتناب المنهيات علامة الخوف، وارتكاب المأمورات علامة الرجاء؛ ولا بد للمؤمن منهما، فإن الخوف بلا رجاء قنوط بلا خوف، والرجاء بلا خوف غرور لا رجاء، فالخوف والرجاء الحقيقيان متلازمان.

قال في الإحياء: "فإن بالحقيقة الرجاء الحقيقي لا ينفك عن الخوف الحقيقي، والخوف الحقيقي لا ينفك عن الرجاء؛ ولذلك قيل: الرجاء كله لأهل الخوف إلا الأمن، والخوف كله لأهل الرجاء إلا اليأس"¹⁶⁹.

¹⁶⁶ الحكم، ص 60.

¹⁶⁷ ابن زكري الفاسي، محمد بن عبد الرحمن: شرح الحكم العطائية، مخطوط الخزانة الحسنية، رقم 1102، وقد حققها الباحث طارق العلمي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة عبد الملك السعدي، أطروحة جامعية لنيل الدكتوراه، بعنوان: "شرح سيدي محمد بن زكري على الحكم لابن عطاء الله السكندري" تقديم وتحقيق، 2015.

¹⁶⁸ المولى محمد صالح المازندراني: شرح أصول الكافي، تعليقات الميرزا أبو الحسن الشعراني، تحقيق السيد علي عاشور، (بيروت: دن، د.ت.)، 218/8.

¹⁶⁹ الغزالي: إحياء علوم الدين، 4/ 139-140.

التحذير من الإقامة بأرض العدو لأبي عبد الله محمد بن المديني بن علي كنون: دراسة وتحقيق
وقال يحيى ابن معاذ¹⁷⁰ رحمته الله: "من عبد الله بمحض الخوف غرق في بحر الأفكار، ومن عبده
بمحض الرجاء تاه في مفازة الإغترار، ومن عبد الله بالخوف والرجاء استقام على محجة
الأذكار"¹⁷¹.

وقال الحسن البصري¹⁷² رحمته الله: "إن أقواماً ألهمهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا
ليست لهم حسنة، يقول لهم أحدهم أحسن الظن بربي وكذب، إذ لو أحسن الظن بربه
لأحسن العمل له، ثم تلا قوله تعالى: (وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ
الْخَامِرِينَ)¹⁷³.
وفي النصيحة الكافية: "وأعظم الناس جهلاً، من جهل نفسه، وأهمل أحواله حتى
دخل رمسه"¹⁷⁴.

فائدة

"زوي أن شاباً نظر إلى مرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك فقال إلهي أطعتك
عشرين سنة وعصيتك عشرين سنة فإن رجعت إليك تقبلي فسمع صوتاً يقول: أحببتنا
فأحببناك، وتركتنا فتركناك، وعصيتنا فأمهلتناك، فإن رجعت إلينا قبلناك"¹⁷⁵.
والله الموفق للصواب، والله المرجع والمآب، نسأله سبحانه أن يوفقنا لما فيه رضاه
الأكبر الميسر، وأن يكون لنا بما كان به لأوليائه الصالحين، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة
جدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على
سيدنا ومولانا أفضل العالمين، عدد مخلوقات الله إلى يوم الدين.

¹⁷⁰ أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي الواعظ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث
الهجري، وصفه الذهبي بأنه "من كبار المشايخ له كلام جيد ومواعظ مشهورة". ابن خلكان: وفيات الأعيان، 167-165/6 خرج
إلى بلخ وأقام فيها، ثم رجع إلى نيسابور ومات فيها يوم 16 جمادى الأولى سنة 258 هـ.
¹⁷¹ الإحياء: 4/174.

¹⁷² الحسن بن يسار البصري (21-110 هـ) إمام وقاض ومحدث من علماء التابعين ومن أكثر الشخصيات البارزة في عصر
صدر الإسلام. سكن البصرة، وعظمت هيئته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، ولا يخاف في الحق لومة
لائم.

¹⁷³ فصلت: 23.

¹⁷⁴ شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي: النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية، ضبط نصه وخرج
أحاديثه وعلق عليه قيس بن محمد آل الشيخ مبارك، (الرياض: مكتبة الغمام الشافعي، 1993)، ص.15.
¹⁷⁵ إحياء علوم الدين، 4/18.

قائمة المصادر والمراجع :

- 01- ابن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية: شرح ابن عباد النفري الرندي، إعداد ودراسة محمد عبد المقصود هيكل، (القاهرة: دن، 1988)
- 02- ابن ناجي، قاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي القيرواني (ت.837هـ): شرح ابن ناجي التنوخي على متن الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، اعتنى به: أحمد فريد المزيدي، ج.2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1428هـ-2007)
- 03- أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسني: أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصراري ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواج، تحقيق د. حسين مؤنس، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 1996)
- 04- أبو العباس شهاب أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى زروق الفاسي البرنسي (ت.899هـ): قواعد التصوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، ط.2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1426هـ-2005م)
- 05- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت.538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج.2، ط.3، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ)
- 06- أبو بكر محمد بن العربي: عارضة الأحوذ بشرح صحيح الترمذي، ج.7، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.)
- 07- أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الأشبيلي المالكي (ت.543هـ): أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، ج.1، ط.3، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1424هـ-2003م)
- 08- أبو حامد الغزالي (ت.505هـ)، كتاب الأربعين في أصول الدين في العقائد وأسرار العبادات والأخلاق: عني به وصححه وخرج أحاديثه عبد الله عبد الحميد عرواني، مراجعة الشيخ الدكتور محمد بشير الشقفة، (دمشق: دار القلم، 2003)
- 09- أبو عبد الله محمد بن المدني بن علي كنون: التحذير من الإقامة بأرض العدو، مخطوط مكتبة الملك عبد العزيز آل سعود، الدار البيضاء، رقم 249.
- 10- أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني: نصيحة أهل الإسلام بما يدفع عنهم داء الكفرة للنام، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2007)
- 11- أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدي الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (ت.737هـ): المدخل، (دم: دار التراث، د.ت.)
- 12- أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد العبدي الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج (ت.737هـ): ج.1، (دم: دار التراث، د.ت.)
- 13- أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي: الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، ضبطه وصححه ووضع حواشيه الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكلياني، ط.3، (بيروت: منشورات محمد علي بيضون- دار الكتب العلمية، 2002)
- 14- حسن حسني عبد الوهاب: الإمام المازري، (تونس: دار الكتب الشرقية، د.ت.)
- 15- خالد بن الصغير، المغرب وبريطانيا العظمى في القرن التاسع عشر- 1856 - 1886: ط.2، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، (1997)
- 16- شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي، النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية: ضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه قيس بن محمد آل الشيخ مبارك، (الرياض: مكتبة الغمام الشافعي، 1993)

- التحذير من الإقامة بأرض العدو لأبي عبد الله محمد بن المدني بن علي كنون: دراسة وتحقيق
- 17- علي بن عبد السلام بن علي، أبو الحسن التُّسُولي المالكي: أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، دراسة وتحقيق عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صالح، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996)
- 18- علي حرازم ابن العربي برادة: جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التجاني، ضبطه وصححه وخرج آياته عبد اللطيف عبد الرحمن، ج.1، ط.3، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2018)
- 19- الغزالي، أبو محمد بن محمد: بداية الهداية، عني به أنس محمد عدنان شرفاوي وآخرون، (بيروت: دار المنهاج، 2004)
- 20- الغزالي، أبو محمد بن محمد: منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين، عني به بوجمعة عبد القادر مكري، (بيروت: دار المنهاج، 2006)
- 21- المازري، فتاوى المازري: تحقيق طاهر المعموري، (تونس: الدار التونسية، 1994)
- 22- محمد الشريف وسلوى الزاهري: "فتاوى ابن برطال"، ضمن كتاب: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ومباحث في التراث الإسلامي، أعمال مهداة إلى أ.د. أحمد شعيب اليوسفي، ج.1، (تطوان: كلية الآداب، 2018)
- 23- محمد الطيب بن كيران الفاسي (ت.1227هـ): شرح الطيب ابن كيران على توحيد الإمام ابن عاشر مع تعليقات دقيقة من حاشية الوزاني وغيرها، اعتنى به وعلق عليه عماد الجليلاتي، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2020)
- 24- محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، أبو الوليد: المقدمات الممهدة لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعية والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات، تحقيق أ. سعيد أحمد أعراب، ج.2، (د.م.: دار الغرب الإسلامي، 1988)
- 25- محمد بن عبد الكريم التميمي: المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس زما يلها من البلاد، دراسة وتحقيق الدكتور محمد الشريف، ج.1، (تطوان: كلية الآداب والعلوم الانسانية، 2002)
- 26- محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، تحقيق د. عاصم إبراهيم الكيالي، ط.2، (بيروت: دار الكتب العلمية، 2005)
- 27- محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط.3، (القاهرة، دن، 1966)
- 28- المولى محمد صالح المازندراني: شرح أصول الكافي، تعليقات الميرزا أبو الحسن الشعرائي، تحقيق السيد علي عاشور، ج.8، (بيروت، دن، د.ت.)
- 29- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى: (ت.914هـ): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إصدار جماعة من المحققين بإشراف د. محمد حجي، ج.2، (المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية – بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981)
- 30- شكري فيصل، التراث العربي؛ خطة ومنتج، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد 3، أكتوبر 1980.
- 31- محمد الفلاح العلوي، جامع القرويين والفكر السلفي، منشورات مجلة أمل، 2004.

32- Alan Verskin, Islamic Law and the Crisis of the Reconquista. The Debate on the Status of Muslim Communities in Christendom, Studies in Islamic Law and Society, Volume: 39, 2015.

-
- 33-Hendrickson, Jocelyn: The Islamic obligation to emigrate: al-Wansharisi's Asna al-matajir reconsidered, Emory University, 1999.
- 34-Jean-Pierre Molénat, «Le problème de la permanence des musulmans dans les territoires conquis par les chrétiens, du point de vue de la loi islamique», *Arabica*, T. 48, Fasc. 3 (2001)